



www.armeaa.com
armeaa@live.co.uk - armeaa@hotmail.com



كوثر أحمد دم برائحة المطر

إهداء

لِلرَّاحِلِينَ إِلَى مَعَدِنِ الْعِظْمَةِ..
لِلْمُنْهَكِينَ، لِلْمَحْرُومِينَ، لِلْمُعَذِّبِينَ، لِلْمَقْهُورِينَ، لِلْمُعْدِمِينَ ،
لِلْمُتَعَبِينَ، وَلِي!

وَ لَيْسَانَ أَيْضًا !

وَ لِلْمَطَرِ الَّذِي أَمْسَكَ بَعْدَ تَجَلِّيِ الْمِلْحِ وَ الظُّلْمَةِ!

لِلدَّمِّ الْمُنْتَفِقِ بَيْنَ جَدَاوِلِ الْعُتْبَاتِ لِتَرْتَوِي مَحَاجِرَ الثُّرَابِ
بِالْأَقَاحِي وَالْأَزْهَارِ وَيَعُودُ مَا كَانَ لِيَكُونَ أَخْضَرَ مُشْبَعًا بِالْحُمْرَةِ
وَ الْحُبِّ وَ السَّلَامِ أَيْضًا!

وَلَّانَهُ لَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ إِلَّا حِينَ يَعُودُونَ، سَأْمُحُو كُلَّ حَرْفٍ نَقَشْتَهُ
عَلَى جَبِينِ الْأَمْهَاتِ صَبْرًا وَلَنْ أَذْكَرَ مَا تَوَاتَرَ مِنْهُ حَزْنًا بَعْدَ حُزْنٍ!
فَلَا تَلْمَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا..

إِنْ خَذَلْتِكَ ذَاكَرْتِي بِأَمَّا حَفِظْتِهِ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى جِدَارِ الْهَمِّ وَصَرَخْتَ
بِأِهِ مُضْمَرَةً:

أَنْي نَسِيتِ !

تمهّل!

فَجُلُّ مَا تَقْرَوُه لَّا تُدْرِكُه، وَجُلُّ مَا تُدْرِكُه لَّا تُجِيدُه، وَجُلُّ مَا
تُجِيدُه لَّا تُحْسِنُه..
فَأَبْصِرِ ..

1 | |

يَا كُلَّ الْمَجَازِ الْمَنَسِيَّةِ، يَا كُلَّ الْمَقَابِرِ الْمُمْتَلِئَةِ، يَا غِبَارَ الزَّمَنِ
الْأَسْوَدِ، يَا مَوْتَ الْحُلْمِ الْأَوَّلِ..
كذبةٌ بيضاءٌ صغيرةٌ في كَفِّ التَّارِيخِ!

نيسانك ، أقبلي ..

2] |

قِفْ وَأَخْبِرْنِي
مِنْ أَيِّ الْجِهَاتِ الْعَشْرِ جِئْتَ يَا أَنْتِ!
فَمِيقَاتِكَ ضُيِّعَ فِي سِينَاءِ الْحُزْنِ،
اخْلَعْ الْهَنَاءَ، وَاحْرَمِ فِي صَدْرِي
وَكُنْ صَادِقًا!

3] |

يَضِيقُ الصَّدَى وَأَنْصَافَ الْهَمِّ تَنْشَطِرُ كَقَطْعِ صُبْحٍ مَنْطَفَى..
وَالصَّوْتُ نَاقُوسُ غُرُوبٍ قَرِيبِ
حِينَ نَعَى نَفْسَهُ فَبَكُوهُ!

4] |

دِجَلَةٌ تَقَلَّصَتْ بَرْدًا وَالْفُرَاتُ يَزْدَادُ فِي الْإِنْكَمَاشِ!
فَالْجُثَّةُ الْمَبْتُورَةُ فِيهِ تَغْسِلُ الْمَاءَ بِرَائِحَةِ الْبَارُودِ لِتَسْتَقِرَّ فِي
غَوْرِهِ

قُبُورًا وَحِكَايَاتِ!

فَبِأَيِّ آلَاءِ الْحَرَمَانِ أُشِيعُكَ؟

5] |

عُوءٌ وَشَجْنٌ..

وَأَنْشِطَارُ زُجَاجَاتٍ مُهَشَّمَةٍ!

تَرْوِي الْحِقْدَ مَوْتًا وَدِمَاءً.. أَحْمَرٌ كَانَ لَوْنُهُ حِينَ طَغَى وَانْحَسَرَ!

عَلَيْهِ آثَامُ الضَّالِّينَ وَمَا يَسْكُرُونَ!

رَائِحَةُ اللَّيْلِ تَفُوحُ بِالْفَقْدِ وَالْعُتْمَةِ وَجُرْحِ الْفَجْرِ الْآتِي..

وَالنُّبُوءَاتُ تُتَلَى وَالنِّدَاءُ الْوَاحِدُ يُتِمِّتُمْ بِوَهْنٍ:

مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْقَادِمَةِ!

كَيْفَ لِنُقْطَةَ سَوْدَاءٍ أَنْ تَحْجُبَ الشَّمْسَ؟!

طِينُ الْجَسَدِ يَذُوبُ حِينَ تَشْتَعَلُ الرُّوحُ
مَنَارَةٌ يَسْكُنُهَا الضِّيَاءُ ..

فَ مَعْدِنِ الْعِظْمَةِ، عَلِيَاءُ الْمَلَكُوتِ لَا تَمْسُهَا خُرَافَةُ الشُّرَابِ!

| [9

ذَاتِ الْكُرَةِ وَالنَّقْطَةِ هِيَ الْإِنْقِلَابُ!
هَذِهِ الْأَرْضُ لَيْسَتْ لِلسُّكْنَى / ارفعوه للسماء - لَا مَكَانَ لَهُ
بَيْنَكُمْ ! -
لِثُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَزَيْنَبُ!

وَيُصْبِحُونَ كَمَا هُمْ

فُقَرَاءَ، تُعَسَاءَ، مَسَاكِينَ!

بُحْزَنٍ يَصْمُتُونَ وَيَبْقَى السُّؤَالُ:

من قتلَ (والفجر) التي تُصلي في محرابِ الفكرِ ظُلماً؟!!

وَيَتِيمٌ وَاحِدٌ يَبْكِي!

تَأْتِيهَا بَيْنَ الْمُدُنِ، فِي الْأَرْقَةِ الضَّيِّقَةِ عَلَى حُزْنِهِ يَجُولُ!
يَتَسَوَّلُ وَجْهًا، وَطَنًا، وَغُرْبَةً..
وَعَلَى قَارِعَةِ الْجُرْحِ تَنْكَسِرُ مَرَايَا الْأَمْنِيَّاتِ..
فَقَطْ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ جَيِّدًا
بِأَنَّ الزَّمَانَ مُنْصَرِّمٌ لَا يَعُودُ!
وَلَكِنْ يَعُودُ!

دم برانحة المطر،، كوثر أحمد

حَائِرًا ضَيِّعَ كُلِّ الْجِهَاتِ!

يَصْرُخُ بِصَمْتٍ بَعْدَ أَنْ تَمَزَّقَ الْأَرْخِيْلُ!

الْبَحْرُ غَيَّرَ عَادَتَهُ،

وَلَمْ يَكُنْ مَاءً!

خِوَاءٌ وَرَمَادٌ أَحْمَرٌ..

وَلَا شَيْءٍ فِي الْأَشْيَاءِ سِوَىٰ أَنَّمَا كَانَتْ وَحَدَّهَا تَنْسُخُ الذِّكْرِيَّاتِ!

وَهَذَا لَا يَعْنِي بِالضَّرُورَةِ أَنْ نَنْسَى!

يَتَسَعُ النَّزْفُ فِي هَشِيمِ الذَّاكِرَةِ الْمَثْقُوبَةِ!
لِيُقْبَلَ صَدَأُ الْحُمَمِ الْبَارِدَةِ حِينَ تَتَمَرَّدُ عَلَى النَّسِيَانِ بِمُكَابَرَةٍ،
وَيَتَوَهَّجُ عُنْفُوَانًا وَآكْتِوَاءً:

إِنَّمَا لَا تَفْرَغُ مِنَّا! / إِنَّا لَا نَفْرَعُ مِنْهَا!

نِصْفٌ أَوْ بَعْضٌ نِصْفٍ ..

وَكَمَالِكَ يَا نِصْفُ، أَنْصَافٌ لَا تَتَنَصَفُ فَلَا تَكْتَمِلُ!

تُؤْذِيكَ وَتُتَمْنِي!

أَتُرَاكَ نَقْصًا؟

زُقَاقٌ طَوِيلٌ لَنْ تَبْلُغَهُ؛ لَأَنَّهُ كَانَ وَاحِدًا!

- أَنْتَ وَاهِمٌ؟

- لِمَ؟

- لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَا تُحَدِّدُ!

- إِذْنِ، أَنَا يَقِينٌ!

أَلَمْ مُسْتَقِيمٍ!

لَا يَنْعَكِسُ إِلَّا فِي الْآكُفِّ وَ لَا يَنْكَسِرُ إِلَّا فِي الْأَعْيُنِ وَلَا يَرْتَدُّ إِلَّا
فِي الْقُلُوبِ!

إِنَّهُ يَنْفُذُ فِي الرُّوحِ فَقَطَّ..

إِلَيْكَ وَجَهْتَ الْجُرْحَ أَسْعَى!

قانا،

طِفْلِكَ أَخْبَرَ الْأَرْجُوحَةَ بِأَنَّهُ سَيَعُودُ فِي الْغَدِ لِيَأْخُذَ دَوْرَهُ!

وَيُحَلِّقَ بِدُمَيْتِهِ بَيْنَ كَفَّيْهَا وَيَتَنَفَّسَ الْحَيَاةَ!

وَيُعْغِي بِبِرَاءَةٍ:

سَلَامٌ

سَلَامٌ!

قانا ، 18 نيسان..1996

لِنَقِفْ قَلِيلًا!

لَا لِنَنْظُرَ لِلوَرَاءِ.. بَلْ لِنَتَأَكَّدَ جَيِّدًا بِأَنَّنَا نَمَشِي لِلأَمَامِ فَفَقَطْ!

لِمَاذَا بَعْضُ الْأَشْيَاءِ لَا تَتَعَلَّمُ اللَّطْفَ عِنْدَمَا تَجْرَحُ؟!
لِمَاذَا تَنْسَى بَعْضُ الْأَوْجَاعِ أَنْ تُمَارِسَ الرَّحْمَةَ بِضَجِيحٍ مُهَذَّبٍ فِينَا
!؟
لِمَاذَا؟!!

وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَأُخْرٍ رَحَلْنَ إِلَى غَيْرِ الشِّتَاءِ / الشِّتَاتِ!
جَنَ بِهِنَّ الْفَجْرَ الْأَخِيرَ حِينَمَا أَطْفَأَ مِنْ شُمُوعِهِنَّ وَاحِدَةً
وَدَفَنَ التَّسْعَةَ!

يَنْشِي الْغُرُوبُ عَنِ الْإِنْحِنَاءِ، فَصُفْرَتُهُ الْمُثْقَلَةُ تَأْبِي الْغِيَابَ..
أَكَانَ مُشْرِقًا حَدَّ الْعَمَى!

عَطِشٌ .. عَطِشٌ!

يَظْمَأُ الْجُزْءُ الْمُتَمَلِّئُ مِنَ الْمَاءِ،
لَأَنَّ الْكَأْسَ كُلَّهَا كَانَ فَارِغًا!

عُشْرُونَ وَأَرْبَعَةٌ..

أَنْتَ كُلُّهُنَّ وَنِصْفُهُنَّ وَالْفَرْدَ يَا وَاحِدًا!

أخبرني:

بِالْأَلْوَا حِ الْخَضْرَاءِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنَ الضَّمَائِرِ حُضُورًا وَغِيَابًا،

ابْتَدَأَ بِالْحَالِ وَانْتَهَى بِالْعَدَمِ..

لَمْ يَكُنْ سِرًّا، بَلْ كَانَ وَجُودًا!

كِدَائِرَةٌ تَنْتَهِي مِنْ حَيْثُ بَدَأَتْ / تَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ تَنْتَهِي!
وَلَا فَرْقَ ، فَلِمَ أَنْتَ رَاحِلٌ؟!

قُلْتُ أَيضًا:

بِأَنَّ عِلَامَاتِ الْوَجْدِ ثَلَاثٌ: الشُّوقُ وَاللُّوْعَةُ .. وَالْيَقِظَةُ!

لَا تَدُلُّ أَحَدَهُنَّ عَلَى الْأُخْرَى إِلَّا بِهِنَّ!

تَشَكَّلَ جَوَابٌ صَغِيرٌ، حِينَ قُلْتُ " لَكِن "
لَا لِأَنَّهُ أَغْلَقَ كُلَّ احْتِمَالٍ نَحْوِ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ!
بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ الْاِثْنَيْنِ مَعًا!

الحَقِيقَةُ، إِذَا لَمْ تَكُنْ ذَلِكَ الشَّكَّ الْمَحْضَ ..

حَتْمًا لَنْ تُكُونَ يَقِينًا!

خَمْسٌ تَمَرْدَنَ عَلَى خَمْسٍ

تَقْلَصْنَ فِي نُقْطَةٍ لَيْسَتْ بِأَخْرِ السَّطْرِ وَلَا أَوْلَاهُ!

إِنَّمَا تَحْتَ الْفَاصِلَةِ / السَّرِّ!

الهامش

يَقُولُونَ:

لَمْ تَصِلِ لِلذَّرْوَةِ وَلَمْ تُتِمِّ التُّصَجَّ!

لَأَنَّكَ كُنْتَ فِي الشَّجَرَةِ أَخْضَرًا يَا زَيْتُون!

كوثر أحمد

دم برائحة المطر

كوثر أحمد

للرَّاحِلِينَ إِلَى مَعْدِنِ الْعَظْمَةِ..
لِلْمُنْصَكِينَ ،
لِلْمَحْرُومِينَ ،
لِلْمُعَذِّبِينَ ،
لِلْمَقْصُورِينَ ،
لِلْمُعْدِمِينَ ،
لِلْمُتَعَبِينَ ، وَ لِي !